حبرا على ورق بسبب معاناة الولايات المتحدة ـــ في فترة من الفترات ـــ من تصور ذاتي افترضت معه انها ـــ اذا جاز التعبير ـــ « النبي المسلح » الذي يصنـــع لهذا العالم مبادئه وأخلاقياته وحدود سلوكه من جهة ، ويتعهد الحفاظ عليها ، وتثبيتها ، ونشرها وتمزيق كل معارضة لها بحد السيف كلما اقتضت « الضرورة » ذلك من جهة ثانية .

ومع أن رياح الظروف الموضوعية داخل الولايات المتحدة أصبحت مؤاتية لقبـــول سياسة « التعايش السلمي » السوفياتية بعد ازمة كوبه في العام ١٩٦٢ ، أصرت الادارة الجونسونية آنذاك على السباحة عكس التيار . وكان ريتشارد نيكسون ، في حدود معلوماتنا ، أول زعيم سياسي اميركي رأى حتمية الانفراج ودعا اليه بقوة . بل انه ذهب الى حد رسم خطة سياسة خارجية جديدة للولايات المتحدة مثلت مـــا يمكن اعتباره سياسة « رئيس الظل » الخارجية . فقد نشر نيكسون ، في تشرين الاول ـــ اكتوبر ١٩٦٧ ، مقالة وضع فيها الاساس النظري الاميركي لبناء « الوفاق الدولي » الذي تولى ، شخصيا ، مسؤولية الاسهام في تشييده بعدما تربع على قمة هرم السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة في العام ١٩٦٩ .

يصف نيكسون ـــ في تلك المقالة ـــ الولايات المتحدة بالدولـــة « المنهكة بالحرب ، المخذولة (بسبب) الحلفاء ، المخيبة الآمال (بنتائج) مساعداتها والفاقدة الشجاعة (بسبب) أزماتها المحلية »(٢٨) ويتنبأ بأن أول آثار حرب فيتنام سيكون موجة انعزالية تجعل الرأي العام والكونغرس « غير ميالين » لتدخلات مشابهة ، وبالتالي ، فان « على الامم الاخرى ان تعترف بأن دور الولايات المتحدة كرجل بوليس عالمي من المحتمل (له) أن يكون محدودا في المستقبل »(٢٩) . ويضيف نيكسون انه اذا ما تدخلت الولايات المتحدة فان ذلك سيكون بعد ان تقوم الدول في منطقة ما بتوحيد جهودها لحماية نفسها (مـــع ضمانة اميركية بتوفير كل ما يلزم من مساعدات غير مباشرة) ، وبعد أن تبادر جميعها ـــ في حال فشل مساعيها الذاتية ـــ الى طلب المساعدة الاميركية المباشرة(٣٠) . كما طالب نيكسون ـــ في المقالة ذاتها ـــ بضرورة « تقليل عدد المناسبات التي يتوجب (فيها) على الدول النووية اتخاذ قرار بالتدخل (في النزاعات الاقليمية) الى الحد الادنى » وذلك كي يمكن تجنب حرب عالمية جديدة بين الدول الكبرى(٣١) . هذا وقد خص نيكسون ـــ في مقالته ـــ الصين الشعبية باهتمامه مؤكدا استحالة تركها « خارج مجتمع الامم » ، داعيا الى « محاصرة (تأثيراتها) دون عزلها »(٣٢) . كما حث نيكسون ـــ في نهاية المقالة ـــ الدول الكبرى الثلاث (الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية) التي تتنافس على « العالم الثالث » الى الانفتاح على بعضها بعضا قطعا للطريق على كل ما من شأنه تهديد السلام العالمي(٣٣) .

على صعيد آخر ، تظهر هذه الافكار بشكل اكثر تبلورا وتكتسب قوة مادية كبيرة في التقرير الذي قدمه نيكسون ، بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ، للكونغرس في مطلع العام ١٩٧٠ والذي استهدف منه وضع « منهج جديد في السياسة الخارجية ليتلاءم مع عصر جديد في العلاقات الدولية »(٣٤) . وهذا المنهج ـــ كما يوضح الرئيس نيكسون ـــ قائم على ثلاثة أعمدة رئيسية : الشراكة (Partnership) والقـــوة (Strength) والتفاوض (Negotiations) (٣٥) .

وتنبع هذه المنطلقات الثلاثة من الخطة السياسية التي رسمها نيكسون في العـــام ١٩٦٧ والتي أصبحت تعـــرف ، منذ القى خطابـــه في قاعـــدة جزيرة جوام (Guam) العسكرية في المحيـــط الهادي بتاريـــخ ١٩٦٩/٧/٢٥ ، باسم « مبـــدأ نيكســـون » (The Nixon Doctrine) (٣٦) . ويحث هذا المبدأ حلفاء الولايات المتحدة على تولي شؤون دفاعهم بأنفسهم وتشكيل توازن محلي في القوى بدلا مـــن دفع القوات الاميركية الـــى